فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين



فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

١- آدم عليه السلام	٢- نوح عليه السلام
٣- هود عليه السلام	٤- صالح عليه السلام
٥- إبراهيم عليه السلام	٦- إسماعيل عليه السلام
٧- يُوسُف عليه السلام	٨- شُعيب عليه السلام
٩- أيّوب عليه السلام	١٠- يونُس عليه السلام
١١- موسى عليه السلام	١٢- داود عليه السلام
١٣- سُليمان عليه السلام	١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
١٥- عيسى عليه السلام	١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنيرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمَه من رُسُلٍ وأنبياء .

قال الله تعالى: (وَكُلاًّ نَقصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَاتُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

دار القلم العربي
للأطفال

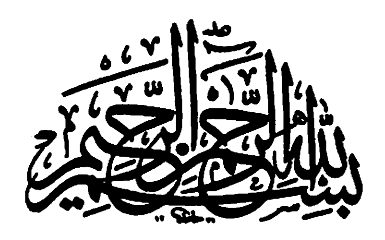
فجر الهدى والإيمان

من قصص
الأنبياء
عليهم السلام

أيوب
عليه السلام
الصابر المحتسب



إعداد وترتيب : زهير مصطفى
مراجعة : يوسف عبد الكريم غساني



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001 م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب:78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نسبُ أيوب عَلَيْهِ السَّلاَمُ

هُوَ أَيُّوْبُ بْنُ مَوْصَ بْنُ رَازِحَ بْنِ العَيْصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْل عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَذلكَ لقَوْلهِ تَعَالى فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وَهُوَ أَحَدُ الأَنْبيَاءِ الذِيْنَ نَصَّ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كتَابِهِ العَزِيْزِ، عَلى نُزُوْل الوَحْيِ عَلَيْهِمْ، قَال تَعَالى فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ:

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2].

---

(١) سورة: الأنعام / ٨٤/ .

(٢) سورة: النساء / ١٦٣/ .

ابتلاءُ أيوبَ بمالهِ

كَـانَ نَبِـيُّ اللهِ أَيُّـوْبُ عَلَيْـهِ السَّـلاَمُ، غَنِيّـاً، وَافِـرَ المَـال، وَبِمُخْتَلفِ أنْوَاعِهِ، فَكَانَ يَمْلكُ أنْوَاعَاً شَتَّى مِنَ الأنْعَام[1] وَالعَبِيْدِ وَالمَوَاشِي وَأَرَاضٍ شَاسِعَةٍ، فِيْ مِنْطَقَةِ حَوْرَانَ وَمَعَ ذَلكَ فَإنَّ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لمْ يَبْطَرْ وَلمْ يَتَكَبَّرْ، بَل رَأى أنَّ ذَلكَ المُلْكَ، هُوَ مِنْ نِعَم اللهِ وَفَضْلهِ، أفَلا يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ عَليْهِ؟ بَلى وَهَكَذَا كَانَ أيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ طَائِعَاً للهِ، شَكُوْراً مُتَعَبِّداً، كَثِيرَ الصَّلاةِ وَالصِّيَامِ، حَتَّى عَرَفَهُ المَلائِكَةُ الذِيْنَ كَانُوا يَجُوبُوْنَ أطْرَافَ الأرْضِ، مُتَحَدِّثِيْنَ عَنْ هَؤُلاءِ الأتْقِيَاءِ الصَّالحِيْنَ، حَيْثُ قَال قَائِلهُمْ:

ـ لمْ نَجِدْ عَلى الأرْضِ خَيْراً مِنْ أيُّوْبَ.

وَكَانَ أيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَرِيْمَاً جَوَاداً، يَعْرِفُ أنَّ مَا يَمْلكُ مِنْ مَالٍ ليْسَ سِوَى أمَانَةٍ فِيْ عُنُقِهِ، إنْ صَرَفَهُ فِيْ وُجُوْهِ الخَيْرِ فَازَ، وَإنْ صَرَفَهُ فِي الشَّرِّ وَالسُّوْءِ هَلكَ وَخَسِرَ، وَلهَذَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَجُوْدُ بِمَالهِ عَلى الفُقَرَاءِ وَالمُحْتَاجِينَ وَيَحْنُو عَلى الصَّغِيْرِ

---

(١) الأنعام: الحيوانات.

وَالكَبِيْرِ، وَيُكْرِمُ الجَائِعَ وَيَكْسُو العَارِيَ. وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، أرَادَ أنْ يَخْتَبِرَ وَيَمْتَحِنَ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ أعْلَمُ العَالَمِيْنَ، فَوَسْوَسَ لهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيْمُ، الذِيْ حَاوَل أنْ يَرْدَعَهُ عَمَّا هُوَ فِيْهِ مِنْ عِبَادَةٍ وَشُكْرٍ للهِ عَزَّ وَجَل، وَهُوَ الذِيْ نَذَرَ نَفْسَهُ لإغْوَاءِ النَّاسِ، وَحَاوَلَ أنْ يُزَيِّنَ لهُ مَبَاهِجَ الدُّنْيَا وَمَتَاعَهَا، لعَلهُ يَصْرِفُ أيُّوبَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، وَلكِنْ أنَّى للشَّيْطَانِ أنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ قَلبِ أيُّوبَ التَّقِيِّ النَّقِيِّ؟ وَكَيْفَ يُمْكِنُ لهُ أنْ يَخْدَعَهُ، وَهُوَ الذِيْ أرْسَلهُ اللهُ عَزَّ وَجَل وَأوْحَى إليْهِ. وَعَلى الرَّغْمِ مِنَ البَلاءِ العَظِيْمِ الذِيْ حَل بِهِ، عِنْدَمَا شَاءَ العِليُّ القَدِيْرُ أنْ يَسْلبَ أيُّوْبَ أمْوَالهُ وَمَوَاشِيَهِ وَأرَاضِيَهُ فَيُصْبِحَ فَقِيراً بَعْدَ غِنَى وَمُعْوِزَاً بَعْدَ اكْتِفَاءٍ، وَسَعَةٍ وَرَخَاءِ عَيْشٍ، ظَل أيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، شَاكِرَاً للهِ عَزَّ وَجَل، مُتَعَبِّداً لهُ أطْرَافَ النَّهَارِ، وَآنَاءَ الليْل، لا يَفْتَأ يَذْكُرُ عَزَّ وَجَل ويَلهَجُ قَلبُهُ بِذِكْرِهِ وَبِشُكْرِهِ، فَالمَال مَال اللهِ، هُوَ الذِيْ وَهَبَ، وَهُوَ الذِيْ أخَذَ وَلا رَادَّ لِمَشِيْئَةِ اللهِ تَعَالى، وَتَوَجَّهَ النَّبِيُّ أيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، إلى اللهِ، يَشْكُو مَا حَل بِهِ مِنْ تَعَبٍ وَعَذَابٍ، يَقُوْل اللهُ عَزَّ وَجَل فِيْ كِتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾(١).

---

(١) سورة: ص (٤١).

فَتَحَمَّل أيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، الشِّدَّةَ وَالعَوزَ، وَصَبَرَ عَلى مَا ابْتَلاهُ اللهُ عَزَّ وَجَل بِهِ، وَلَمْ يَزِدْهُ ذَلكَ إلا خُشُوْعَاً وَإِيمَاناً وَحَمْدَاً وَشُكْرَاً، وَعِنْدَئِذٍ تَرَاجَعَ إبْليْسُ اللعِيْنُ، عِنْدَمَا لمْ يَجِدْ سَبِيْلاً[1] إلى إغْوَاءِ أيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَلكِنْ إلى حِيْنٍ.

ابتلاؤُهُ في أولادِهِ

ظَنَّ إبْليْسُ اللعِيْنُ أنَّ النَّبِيَّ أيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لمْ يَعْبُدِ اللهَ عَزَّ وَجَل، إلا طَمَعَاً فِيْ إبْقَاءِ ثَرْوَتِهِ وَأمْوَالهِ وَمَوَاشِيْهِ، وَلكِنَّهُ بَاءَ بِفَشَل ذَرِيْعٍ، وَمُنِيَ بِالخِزْيِ وَالعَارِ وَالهَزِيْمَةِ، عِنْدَمَا رأى مِنْ صَبْرِ أيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَتَحَمُّلهُ للصِّعَابِ وَالشَّدَائِدِ، ضَارِبَاً المَثَل الذِيْ يُحْتَذَى[2] للنَّاسِ أجْمَعِيْنَ، فِيْ كُل مَكَانٍ وَفِيْ أيِّ زَمَانٍ، وَلكِنَّ إبْليْسَ لعَنَهُ اللهُ لمْ يَيْئَسْ وَحَاوَل مَرَّةً ثَانِيَةً، أنْ يَتَسَلل إلى قَلبِ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ليَكيْدَ لهُ وَليُبْعِدَهُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَل، وَذَلكَ عِنْدَمَا شَاءَتْ إرَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَل أنْ يَفْقِدَ أيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أوْلادَهُ، وَالأوْلادُ بَضْعَةٌ مِنَ الإنْسَانِ، وَفِقْدَانُهُمُ اخْتِبَارٌ حَقِيْقِيٌّ لهُ، فَقَدْ زَلزَل اللهُ عَزَّ وَجَل، القَصْرَ الذِيْ كَانُوا

---

(١) سبيلاً: طريقاً.

(٢) يحتذى: يقتدى به.

يُقِيمُوْنَ بِهِ، فَتَحَوَّل إلى أنْقَاضٍ، بَعْدَ أنْ تَصَدَّعَ بُنْيَانُهُ وَانْهَارَتْ أرْكَانُهُ، وَفَرِحَ إبْليسُ لعَنَهُ اللهُ، لمَا حَل بِالنَّبِيِّ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، الذِيْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، عِنْدَمَا عَلمَ بِمَوْتِ أبْنَائِهِ، لكِنَّهُ حَمِدَ اللهَ، وَأثْنَى عَلَيْهِ فَكُلنَّا إلى اللهِ رَاحِلوْنَ، وَلا خُلوْدَ لأحَدٍ فِيْ هَذِهِ الدُّنْيَا الزَّائِلةِ، فَتَحَمَّل أيُّوْبُ الصَّدْمَةَ، وَصَبَرَ عَلى البَلوَى، الَّتِي لمْ تَزِدْهُ إلا قُوَّةً وَعَزِيْمَةً وَإرَادَةً لا تَليْنُ فِيْ مُحَارَبَةِ البَاطِل، وَفِي الجَهْرِ بِالحَقِّ، وَفِي الثَّبَاتِ عَلى الإيْمَانِ بِاللهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، الذِيْ لهُ المُلكُ، وَلهُ الحَمْدُ وَالثَّنَاءُ، وَمُنِيَ إبْليْسُ لعَنَهُ اللهُ مَرَّةً ثَانِيَةً بِالخِزْيِ وَالهَزِيْمَةِ، فَرَغْمَ فَدَاحَةِ المَصَائِبِ، وَعِظَمِ الشَّدَائِدِ، الَّتِي لحِقَتْ بالنَّبِيِّ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، عِنْدَمَا أذْهَبَ اللهُ أمْوَالهُ وَمَوَاشِيَهُ، ثُمَّ أفْنَى أوْلادَهُ، ظَل يَعْبُدُ اللهَ عَزَّ وَجَل، عَلى نَعْمَائِهِ، وَيَصْبِرُ عَلى بَلوَائِهِ.

ابتلاؤه في جسده

عَاوَدَ إبْليْسُ لعَنَهُ اللهُ، مُحَاوَلاتِهِ فِيْ إغْوَاءِ النَّبِيِّ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَتَسَاءَل فِيْ نَفْسِهِ، مَاأشَدَّ إيْمَانَ هَذَا الرَّجُلِ؟ وَمَا أقْوَى عَزِيْمَتَهُ، مَا أصْلبَ عُوْدَهُ ـ! وَمَا أمْتَنَ قَامَتَهُ! إنَّهُ قَوِيُّ البُنْيَانِ، صَحِيْحُ الجِسْمِ وَالعَقْل، وَعِنْدَئِذٍ لاحَتْ لإبْليْسَ لعَنَهُ اللهُ، فِكْرَةٌ شِرِّيْرَةٌ جَدِيْدَةٌ، وَهِيَ أشَدُّ وَأدْهَى مِنَ الفِكْرَتَيْنِ. لِمَاذَا لا يَسْأل

رَبَّهُ أنْ يَبْتَلِيَ أيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بِالمَرَضِ وَالسَّقَمِ، فَيُذْهِبَ صِحَّتَهُ وَيَمْنَعَ عَافِيَتَهُ. أيَسْتَطِيْعُ أيُّوْبُ أنْ يَصْبِرَ عَلى هَذِهِ البَلوَى الشَّدِيْدَةِ؟ وَيَظُنُّ إبْلِيْسُ لعَنَهُ اللهُ، أنَّ أيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، سَوْفَ يَفْقِدُ صَبْرَهُ وَيَضِيْقُ ذَرْعَاً بِالمَرَضِ وَالسَّقَمِ وَشِدَّةِ الأوْجَاعِ، وَلَنْ يَحْتَمِلَ الآلامَ المُبَرِّحَةَ، التِيْ سَوْف تُؤَرِّقُهُ، وَتَمْنَعُ النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ، فَتَسْلبَهُ الرَّاحَةَ وَالطُّمَأنِيْنَةَ، فَتُنْسِيَهُ وَاجِبَاتِهِ، تِجَاهَ خَالِقِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأنَّه عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لاَبُدَّ تَارِكٌ عِبَادَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَالعٌ ثَوْبَ الطَّاعَةِ.

وَتَشَاءُ إرَادَةُ العَليِّ القَدِيْرِ، مَرَّةً ثَالثَةً أنْ يَمْتَحِنَ إيْمَانَ أيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَصَبْرَهُ، وَأنْ يَجْعَلهُ عَبْدَاً شَكُوْراً مُؤْمِناً، تَكُوْنُ مَآسِيْهِ وِمَصَائِبُهُ عِبْرَةً لمَنْ يَعْتَبِرُ، وَعِظَةً لكُل النَّاسِ، فِيْ كُل مَكَانٍ وزَمَانٍ، وَعَزَاءً للمُصَابِيْنَ وَالمَحْزُونِيْنَ وَالمَحْرُومِيْنَ، فَسَلبَهُ الصِّحَّةَ وَالعَافِيَةَ، وَابْتَلاهُ فِيْ جَسَدِهِ بِأمْرَاضٍ شَدِيْدَةٍ، وَلمْ يَبْقَ مِنْهُ عُضْوٌ وَاحِدٌ سَليْمٌ، سِوَى قَلبِهِ، وَلسَانِهِ، يَذْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَل بِهِمَا، وَطَال مَرَضُهُ، حَتَّى ابْتَعَدَ عَنْهُ الجَليْسُ، وَالرَّفِيْقُ، وَاسْتَوْحَشَ مِنْهُ الأنِيْسُ وَالصَّدِيْقُ، فَضَعُفَ جِسْمُهُ، وَذَابَ لحْمُهُ، وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ، وَغَارَتْ عَيْنَاهُ، وَلمْ يَعُدْ يَقْوَى عَلى حَمْل جِسْمِهِ النَّاحِل الهَزِيْل، وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ، جَفَاهُ[1] النَّوْمُ، وَرَافَقَهُ

(١) جفاه: ابتعد عنه.

الأرقُ، وَلازَمَهُ القَلقُ، حَتَّى غَدَا فِرَاشُهُ وَكَأَنَّهُ الشَّوْكُ، وَلكِنَّ النَّبِيَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ فِيْ هَذَا كُلِهِ، هَذَا الذِيْ تُنوءُ[1] عَنْ حَمْلهِ الجِبَال، وَتَتَّسِعُ لهُ الأَرْضُ وَالبِحَارُ، كَانَ صَابِرَاً وَلسَانُ حَالهِ يَقُوْل: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْل.

وَكَانَ مِمَّا سَاعَدَ أَيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، عَلى تَحَمُّل الأَذَى وَالصَّبْرِ عَليْهِ، زَوْجُهُ الوَفِيَّةُ المُخْلصَةُ التِيْ رَافَقَتْهُ كَظِلهِ فِيْ سِنِيْ مَرَضِهِ الطَّوِيْلةِ، تَرْعَاهُ وَتُخَفِّفُ مِنْ آلامِهِ، وَتَقُوْمُ عَلى خِدْمَتِهِ، وَتُصْلحُ مِنْ شَأنِهِ، وَتُعِيْنُهُ عَلى قَضَاءِ حَاجَتِهِ، دُوْنَ أَنْ تَضْجَرَ، أَوَ تَمَل، وَدُوْنَ أَنْ تَشْكُوَ هَمَّاً سَاوَرَهَا مِنْ مَرَضِهِ وَآلامِهِ، حَتَّى أَصَابَهَا الضُّرُّ، فَضَعُفَ جِسْمُهَا، وَنَفِدَ مَالهَا، حَتَّى كَانَتْ تَخْدِمُ النَّاسَ لتُعِيْنَ زَوْجَها، بِهَذَا الأَجْرِ الزَّهِيْدِ الذِيْ تَنَالهُ لقَاءَ عَمَلهَا، وَهِيَ صَابِرَةٌ عَلى مَاحَل بِهِمَا، مِنْ فِرَاقِ المَال وَالوَلدِ وَالصِّحَّةِ، وَلمَ لا؟ فَهَل تَنْسَى قَدِيْمَ إِحْسَانِ زَوْجِهَا عَليْهَا؟ وَرِفْقِهِ بِهَا؟ وَحَنَانِهِ عَليْهَا، وَإِغْدَاقِهِ[2] المَال الوَفِيرَ مِنْ أَجْل رَاحَتِهَا، وَسَعَادَتِهَا، وَزَادَ الأَمْرَ سُوءاً أَنَّ النَّاسَ، ابْتَعَدُوا عَنْهَا هِيَ الأُخْرَى، خَوْفَاً مِنْ أَنْ تَنْقُل المَرَضَ إِليْهِمَ، لعِلمِهِمَ أَنَّهَا امْرَأَةُ

(١) تنوء: تعجز.

(٢) أغدق المال: صَرَفه بكرمٍ وسخاء.

أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَلَمْ تَجِدْ مَنْ يَسْتَخْدِمُهَا وَعِنْدَمَا أعْيَتْها[1] الحِيلَةُ، لجَأتْ إلى إحْدَى ضَفَائِرِ شَعْرِهَا، فَبَاعَتْهَا لبَعْضِ بَنَاتِ الأشْرَافِ، وَعِنْدَمَا عَلمَ النَّبِيُّ أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بِمَا فَعَلتْهُ زَوْجُهُ رَفَعَ رَأسَهُ إلى اللهِ عَزَّ وَجَل قَائِلاً:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2]

وَأقْسَمَ إنْ شَفَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَل، ليَضْرِبَنَّ زَوْجَتَهُ. وَحَارَ إبْليْسُ لعَنَهُ اللهُ فِيْ أمْرِهِ، فَهَا هُوَ يُخْفِقُ مَرَّةً ثَالثَةً فِيْ إغْوَاءِ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، الذِيْ جَاهَدَ المَرَضَ، وَصَبَرَ عَليْهِ، وَلمْ يَثْنِهِ عَنْ عِبَادَةِ ربِّهِ، بَل ظَل يَتَقَرَّبُ إليْهِ بِالصَّلاةِ وَالصِّيَامِ وَالشُّكْرِ وَالحَمْدِ، فَاجْتَمَعَ إبْليْسُ إلى أعْوَانِهِ الذِيْنَ قَالوا لهُ:

ـ أيْنَ دَهَاؤُكَ وَمَكْرُكَ؟ أعَجَزْتَ إلى هَذِهِ الدَّرَجَةِ؟ وَكَيْفَ اسْتَطَعْتَ إغْوَاءَ آدَمَ وَإخْرَاجَهُ مِنَ الجَنَّةِ؟ عِنْدَئِذٍ تَذَكَّرَ إبْليْسُ لعَنَهُ اللهُ، أنَّهُ لمْ يَسْتَطِعْ إخْرَاجَ آدَمَ مِنَ الجَنَّةِ، إلا عَنْ طَرِيْقِ حَوَّاءَ، فَلجَأ إلى زَوْجَةِ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بَعْدَ أنْ تَمَثَّل لهَا رَجُلاً وَقَال لهَا:

ـ أيْنَ زَوْجُكِ وَمَا هِيَ أحْوَاله؟ فَقَالتْ زَوْجَةُ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

---

(١) أعيتها: أعجزتها.

(٢) سورة الأنبياء / ٨٣.

ـ هَا هُوَ قَعِيْدُ الفِرَاشِ، لا حَرَاكَ فِيْهِ، لا هُوَ مَيِّتٌ فَيُنْعَى، وَلا هُوَ حَيٌّ فَيُرجَى.

فلمَّا سَمِعَ كَلامَهَا هَذَا طَمِعَ فِيْ إغْوَائِهَا، فَأَخَذَ يُذَكِّرُهَا بِأَيَّامِهَا الخَالِيَةِ، مَعَ زَوْجِهَا عِنْدَمَا كَانَ شَابّاً صَحِيْحَ الجِسْمِ، وَأَخَذَ يُنَفِّرُهَا مِنْهُ، وَأَصْبَحَ لا يُرْجَى مِنْهُ شَيْءٌ، فَإِلَى مَتَى تَخْدِمُهُ؟ وَإِلى مَتَى تُرْهِقُ نَفْسَهَا مِنْ أَجْلِهِ؟ فَزَرَعَ فِيْ نَفْسِهَا المَلل وَالضَّجَرَ، وَأَثَارَ فَيْ نَفْسِهَا الأَحْزَانَ وَالأَشْجَانَ، فَتَوَجَّهَتْ إلى زَوْجِهَا أَيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَائِلَةً:

ـ يَا أَيُّوْبُ إلى مَتَى تَصْبِرُ عَلى بَلوَاكَ، وَتُعَانِيْ مِنَ السَّقَمِ وَالمَرَضِ؟ إلا تَدْعُو ربَّكَ وتَسْألهُ أَنْ يَشْفِيَكَ وَيَرْفَعَ المَرَضَ عَنْكَ؟ فَقَال لهَا أَيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلامُ:

ـ لَقَدْ عِشْتُ سِنِيْنَ طَوِيْلةً صَحِيْحاً مُعَافَىً، أَتَمَتَّعُ بِالمَال وَالأَوْلادِ وَالصِّحَّةِ، أَفَكَثِيرٌ أَنْ أَصْبِرَ لهُ بَعْضَ السِّنِيْنَ؟ فَجَزِعَتِ امْرَأَتُهُ مِنْ هَذَا الكَلامِ وَقَالتْ:

ـ إلى مَتَى هَذَا العَذَابُ وَهَذَا الشَّقَاءُ، أَيْنَ مَالُكَ؟ أَيْنَ عِيَالكَ؟ أَيْنَ صِحَّتُكَ بَل أَيْنَ أَصْدِقَاؤُكَ وَأَهْلكَ؟ عِنْدَئِذٍ عَرَفَ أَيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلامُ، أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ وَسْوَسَ لهَا، وَدَخَل إلى قَلبِهَا، فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَرْجِعَ إلى اللهِ، وَتَتُوْبَ إليْهِ وَزَادَ تَصْمِيْمُهُ عَلى أَنْ يَضْرِبَهَا إنْ شَفَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَل.

شفاءُ أيوبَ

تَوَجَّهَ أَيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، إلى رَبِّهِ يَدْعُوْهُ، لادُعَاءَ الضَّجِرِ المُتبَرِّمِ، بَل دُعَاءَ مَنْ يَتوَسَّل أنْ يَكْشِفَ اللهُ عَزَّ وَجَل مَا بِهِ، وَيَرْفَعَ الأسْقَامَ عَنْهُ، فَهَا هُوَ قَدْ بَقِيَ وَحِيداً وَنَادَى ربَّه قَائِلاً:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[١].

وَهَكَذَا اسْتَجَابَ اللهُ عَزَّ وَجَل، لدُعَائِهِ وَتَوَسُّلاتِهِ، فَكَشَفَ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَمَرَضٍ، وَذَلكَ بَعْدَ أنْ ضَرَبَ مَثَلاً فِيْ الإيْمَانِ وَالصَّبْرِ، بَل صَارَ يُضْرَبُ بِهِ المْثَل فِي الصَّبْرِ وَشِدَّةِ التَّحمُّل، وَأوْحَى إليْهِ أنْ يَضرِبَ بِرِجْلهِ الأرْضَ، لِيَنْفَجرَ المَاءُ العَذْبُ مِنْ تَحْتِهَا، فَيَغْتَسِلَ أَيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنْهُ وَيَشْرَبَ، وَمَا إنِ اغْتَسَل وَشَرِبَ حَتَّى بَرِئَتْ[٢] جُرُوْحُهُ، وَانْدَمَلتْ قُرُوْحُهُ، وَذَهَبَ عَنْهُ المَرَضُ وَالسَّقَمُ، وَعَادَتْ إليْهِ صِحَّتُهُ كَمَا كَانَتْ، فَبَدَا قَوِيّاً يَافِعاً مُمْتَلِئاً صِحَّةً وَعَافِيَةً، ثُمَّ عَادَ إلى زَوْجِهِ التِيْ نَدِمَتْ عَلى مَا بَدَرَ مِنْهَا سَابِقاً فَلمَّا رَأتْهُ قَالتْ:

---

(١) سورة الأنبياء الآية (٨٣ ـ ٨٤).

(٢) برئت: شفيت.

ـ أيُّهَا الرَّجُل هَل رَأيْتَ نَبِيَّ اللهِ، هَذَا الذِيْ ابْتَلاهُ اللهُ، فَوَاللهِ مَارَأيْتُ رَجُلاً أشْبَهَ بِهِ مِنْكَ عِنْدَمَا كَانَ صَحِيْحاً. فَقَال لهَا أيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

ـ وَيْحَكِ يَا امْرَأةُ أنَا زَوْجُكِ أيُّوْب. ألمْ تَعْرِفِيْنِي؟ فَقَالتْ لهُ:

ـ أتَسْخَرُ مِنِّي يَاعَبْدَ اللهِ؟ فَقَال أيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

ـ وَيْحَكِ أنَا أيُّوْبُ قَدْ رَدَّ اللهُ إليَّ صِحَّتِيْ وَعَافِيَتِيْ.

كَمَا أخْلفَ اللهُ عَزَّ وَجَل لأيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أهْلهُ وَعَوَّضَهُ عَنْهُمْ فِيْ الدُّنْيَا، وَجَمَعَ شَمْلهُ بِهِمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ(١) وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ(٢) بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(٣)﴾(٤).

وَهَكَذَا كُوْفِىءَ أيُّوْبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَأثْبَتَ أنَّهُ جَدِيْرٌ بِالنُّبُوَّةِ، جَدِيْرٌ بِحَمْل أعْبَائِهَا، جَدِيْرٌ بِأنْ يَكُوْنَ رَسُول الإيْمَانِ وَالصَّبْرِ وَشِدَّةِ التَّحَمُّل.

---

(١) نصب: تعب.

(٢) اركض: اضرب الأرض برجلك.

(٣) أولي الألباب: أولي العقول.

(٤) سورة ص (٤١ ـ ٤٣).

وَوَفَاءً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَل لنَبيِّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرِفْقاً بِزَوْجِهِ، المُخْلصَةِ الوَفِيَّةِ، التِيْ صَبَرَتْ مَعَهُ، وَتَحَمَّلتِ الأذَى، وَاحْتَمَلتْ زَوْجَهَا فِيْ مَرَضِهِ، تَرْعَاهُ وَتَخْدِمُهُ وَتَحْنُو عَليْهِ، وَتَقُوْمُ بِكُل وَاجِبَاتِهَا الزَّوْجِيَّةِ، هَيَّأَ لهُ رُخْصَةً فِيْ يَمِيْنِهِ الذِيْ أَقْسَمَهُ فِيْ أَنْ يَضْرِبَهَا مِئَةَ سَوْطٍ، إنْ شَفَاهُ اللهُ، فَأَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل: أَنْ خُذْ يَاأَيُّوْبُ حِزْمَةً مِنَ القَشِّ، وَاجْمَعْ مِئَةَ قَشَّةٍ وَاضْرِبْ بِهَا زَوْجَكَ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، فَيَكُوْنُ هَذَا بِمَنْزِلةِ الضَّرْبِ بِمِئَةِ سَوْطٍ.

يَقُوْل اللهُ عَزَّ وَجَل فِيْ كِتَابِهِ العَزِيزِ فِيْ سُوْرَةِ "ص":

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا(١) فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ(٢) ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ(٣) ﴾(٤).

---

(١) ضغثاً: حزمة من قش.

(٢) تحنث: أي تترك ضربَ زوجتك.

(٣) أوّاب: عائد إلى الله تعالى.

(٤) والآيات من سورة ص (٤١ ـ ٤٤).

فضله عليه السلام

ذَكَرَ بَعْضُ العُلمَاءِ، أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل، يَحْتَجُّ يَوْمَ القِيَامَةِ بِسُليْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، عَلى الأغْنِيَاءِ، نَظَراً لأنَّهُ كَانَ يَمْلكُ كُنُوزَ الدُّنْيَا، وَبِيُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلى الأرِقَّاءِ وَبِأيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلى أهْل البَلاءِ.

وَجَاءَ فِيْ الحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ، أنَّ رَسُوْل اللهِ ﷺ قَال:

أشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالحُوْنَ ثُمَّ الأمْثَل فَالأمْثَل.

وَقَال عَليْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ:

يُبْتَلى الرَّجُل عَلى حَسَبِ دِيْنِهِ، فَإنْ كَانَ فِيْ دِيْنِهِ صَلابَةٌ زِيْدَ فِيْ بَلائِهِ.

وَعَنْ رَسُول اللهِ، ﷺ قَال:

إنَّ نَبِيَّ اللهِ أيُّوْبَ لبِثَ بِهِ بَلاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ القَرِيْبُ وَالبَعِيدُ. . .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، ﷺ قَال:

لمَّا عَافَى اللهُ أيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أمْطَرَ عَلَيْهِ جَرَاداً مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَل يَأخُذُ مِنْهُ بِيَدِهِ وَيَجْعَل فِيْ ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَل: يَا أَيُّوْبُ ألمْ أكُنْ أغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَال: بَلى يَارَبِّ وَلكِنْ لا غِنَى لِيْ عَنْ بَرَكَتِكَ.

* * * * *